Journal Of the Iraqia University (76-5) August (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

النزعة الإنسانية في شعر أحمد الوائلي (دراسة تحليلية)

ا.د. يحيى معروف

ريام محسن فليح

١ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة رازي، إيران، كرمانشاه،

Humanism in the Poetry of Ahmad al-Wa'ili (An Analytical Study)

Yahya Ma'rouf 1 , Ryam Mohsen Faleh 2

Affiliation of Authors

1 Faculty of Arts and Humanities, Razi University, Kermanshah, Iran

2 Faculty of Arts and Humanities, Razi University, Kermanshah, Iran

1 Yahyamaarouf@gmail.com

٢ ryammhsnflyhalsydy@gmail.com

المستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح النزعة الإنسانية في شعر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، بوصفها رؤية فكرية وقيمية شكّلت أحد المرتكزات الأساسية في تجربته الشعرية. وتنطلق الدراسة من تأصيل مفهوم النزعة الإنسانية في أبعاده اللغوية والاصطلاحية، ثم تتتبع جذورها في التراث الإسلامي، ولا سيما في السيرة النبوية الشريفة وسيرة أهل البيت (عليهم السلام)، بوصفهما من أهم المنابع التي أسهمت في تشكيل الوعي الإنساني للشاعر. وتعتمد الدراسة المنهج التحليلي للكشف عن أبرز تجليات هذه النزعة في ديوان الوائلي، حيث تتبدّى من خلال تأكيده قيمة الحرية وصون الكرامة الإنسانية، ورفضه مظاهر الاستبداد والقهر، فضلاً عن دفاعه عن المظلومين ومناهضته للظلم والجور، إذ تحوّلت القصيدة لديه إلى أداة للتعبير عن قضايا الإنسان وآلامه. كما تتجلى النزعة الإنسانية في اهتمامه بالعلاقات الأسرية والاجتماعية، ولا سيما قيم صلة الرحم والوفاء، التي تجاوزت حدود التجربة الفردية لتكتسب أبعاداً إنسانية عامة. وتخلص الدراسة إلى أن شعر أحمد الوائلي يمثل خطاباً إنسانياً متكاملاً يستند إلى منظومة أخلاقية راسخة، ويعكس وعياً عميقاً بقضايا الإنسان وحقوقه، مما أكسب تجربته الشعرية بعداً إنسانياً يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويمنحها قدرة متجددة على التواصل مع المتلقي وإثارة الوعي بالقيم الإنسانية النبيلة.**الكلمات المفتاحية** : الإنسانية، أحمد الوائلي، الشعر الحديث.

Abstract:

This study seeks to uncover the features of humanism in the poetry of Sheikh Dr. Ahmed Al-Waeli, as an intellectual and ethical vision that constituted one of the fundamental pillars of his poetic experience. The study begins by establishing the concept of humanism in its linguistic and terminological dimensions, then traces its roots in Islamic heritage, particularly in the Prophet's biography and the biographies of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), as these are among the most important sources that contributed to shaping the poet's humanistic consciousness. The study employs an analytical approach to reveal the most prominent manifestations of this tendency in Al-Waeli's collected works, where it is evident in his emphasis on the value of freedom and the preservation of human dignity, his rejection of manifestations of tyranny and oppression, as well as his defense of the oppressed and his opposition to injustice and tyranny. For him, poetry became a tool for expressing human issues and suffering. Humanism is also manifested in his attention to familial and social relationships, especially the values of kinship and loyalty, which transcend the boundaries of individual experience to acquire universal human dimensions. The study concludes that Ahmed Al-Waili's poetry represents an integrated human discourse based on a well-established ethical system, and reflects a deep awareness of human issues and rights, which gave

his poetic experience a human dimension that transcends the limits of time and place, and gives it a renewed ability to communicate with the recipient and raise awareness of noble human values.
Keywords: Humanity, Ahmed Al-Waeli, Modern Poetry.

المقدمة:

يُعدّ الشعر العربي مرآةً صادقة تعكس أحوال الإنسان وتجاربه، إذ يرصد آلامه وآماله ويُعبّر عن قضاياه الوجودية والاجتماعية. وقد شكّلت النزعة الإنسانية محوراً أساسياً في الإبداع الشعري عبر العصور، فهي كما يرى ابن إبراهيم "موقف ذهني يولي اهتمامه البالغ للماهية الإنسانية لا للعوالم الغيبية، وأن الإنسان هو في الحقيقة خير من النوع وأنه جدير بأن يحيا حياة العقل والكرامة والأخلاق بل والسعادة أيضاً" [١] (فتحي، ١٩٨٦، ٣٦٩). وقد عرّف الباحثون الإنسانية تعريفات متعددة، فهي "جملة الصفات التي تُميّز الإنسان، أو جملة أفراد النوع البشري" [٢] (مصطفى وآخرون، ١٩٧٢، ٣٠)، كما تعني "ما اختصّ به الإنسان من الكمال الخلقي ومن الأخلاق" [٣] (البستاني، ٢٠٠٩، ص١٩)وفي الشعر العربي الحديث، برزت النزعة الإنسانية بوضوح لدى شعراء المهجر، "فقد غلب الحسّ الإنساني على شعرهم وغلّف خصائصه، فهم يقدّمون منذ خاضوا الحياة وعرفوا خيرها وشرّها وشهدوها، وقاسوا من مرائها" [٤] (العيسى، ٢٠١٠، ٧٨). ولعل هذا ما ينطبق على شعر أحمد الوائلي الذي جمع بين الوجدان الديني والحس الإنساني العميق، ساعياً إلى تجسيد قيم الكرامة والعدالة والمحبة في قصائده.سيرة حياة الشيخ الدكتور أحمد الوائلي (١٩٢٨ – ٢٠٠٣م)تُمثل سيرة الشيخ الدكتور أحمد الوائلي نموذجاً فريداً للمزاوجة بين الأصالة الحوزوية والمعاصرة الأكاديمية، مما جعله شخصية محورية في الفكر الإسلامي والخطابة المنبرية في القرن العشرين. وفيما يلي استعراض لأبرز محطات حياته:

أولاً: المولد والنشأة

وُلد أحمد بن حسون بن سعيد بن حمود الوائلي في مدينة النجف الأشرف، معقل العلم والأدب، في ١٧ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ الموافق ٣ أيلول ١٩٢٨م. ينتمي إلى قبيلة بني ليث الكنانية العدنانية، وهي أسرة عُرفت بالعلم والخطابة؛ إذ كان والده الشيخ حسون الوائلي أديباً وخطيباً بارزاً، مما هيأ له بيئة خصبة للنمو العلمي والفكري منذ نعومة أظفاره.

ثانياً: التحصيل العلمي (المزاوجة بين الحوزة والجامعة)

تلقى الوائلي تعليمه في مسارين متوازيين، مما منحه رؤية شمولية قلّ نظيرها:

١.الدراسة الحوزوية: بدأ بحفظ القرآن الكريم في الكتاتيب، ثم تدرج في دراسة علوم اللغة العربية، والفقه، والمنطق، والأصول على يد كبار علماء النجف، أمثال الشيخ محمد رضا المظفر، والشيخ محمد تقي الإيرواني. كما حضر دروس "البحث الخارج" (الدراسات العليا في الحوزة) لدى مراجع الطائفة الكبار، كالسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي، والسيد محمد باقر الصدر.

٢. الدراسة الأكاديمية: لم يكتفِ بالتحصيل التقليدي، بل انخرط في التعليم النظامي، فحصل على:

بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية الفقه بالنجف (١٩٦٢م)ماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة بغداد (١٩٦٨م) عن رسالته "أحكام السجون بين الشريعة والقانون".دكتوراه في العلوم الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة (١٩٧٢م) عن أطروحته "استغلال الأجير وموقف الإسلام منه".دبلوم عالي في الاقتصاد من معهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة (١٩٧٥م).

ثالثاً: المسيرة المنبرية واللقب (عميد المنبر)

ارتقى الوائلي المنبر في سن مبكرة (العاشرة تقريباً)، وتتلمذ على أساطين الخطابة مثل الشيخ محمد علي القسام والشيخ محمد علي اليعقوبي. استطاع خلال نصف قرن أن يؤسس "المدرسة الوائلية" في الخطابة، والتي تميزت بـ:

- اعتماد البحث العلمي الموضوعي والتحليل التاريخي الرصين.
- البعد عن التشنج الطائفي والتركيز على المشتركات الإنسانية والإسلامية.
- تطعيم الخطاب بالشعر والأدب الرفيع، مما جذب إليه المثقفين والعامة على حد سواء.

وبسبب هذا العطاء المتفرد، لُقب بـ "عميد المنبر الحسيني".

رابعاً: النتاج الفكري والأدبي

ترك الوائلي إرثاً غنياً تنوع بين الكتب المنهجية والدواوين الشعرية، من أبرزها:

- المؤلفات: (هوية التشيع)، (نحو تفسير علمي للقرآن الكريم)، (دفاع عن الحقيقة)، (تجاربي مع المنبر).
- الدواوين: تميز شعره بقوة السبك وفخامة الألفاظ، وجُمع في عدة دواوين منها (ديوان الوائلي) بأجزائه، و(إيقاع الفكر).

خامساً: الهجرة والوفاة

بسبب الظروف السياسية في العراق، غادر الوائلي وطنه عام ١٩٧٩م متنقلاً بين عدة دول، واستقر طويلاً في دمشق (سوريا) حيث واصل عطاءه الفكري والخطابي. عاد إلى العراق بعد تغيير النظام عام ٢٠٠٣م، ولكنه وافاه الأجل المحتوم في مدينة الكاظمية ببغداد في ١٤ تموز ٢٠٠٣م (١٤ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ) إثر صراع مع مرض السرطان. نُقل جثمانه في تشييع مهيب إلى النجف الأشرف حيث دُفن في منطقة الحنانة، تاركاً خلفه مدرسة فكرية وإنسانية لا تزال تنهل منها الأجيال.

المبحث الأول: النزعة الإنسانية: مقاربة مفاهيمية ومرجعيات عقدية وسيرية

مفهوم النزعة الإنسانية:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن الإنسان: "معروف، ويعني بالإنسان المعروف أدم عليه الصلاة والسلام. والإنسان أصله إنسيان لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره: إنسيان، فدلت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم" (ابن منظور، ١٩٩٩، ج١، ٢٣١)

النزعة الإنسانية في السيرة النبوية الشريفة:

شكّلت شخصية النبي محمد ﷺ النموذجَ الأرفع والأكمل للإنسانية في تاريخ البشرية، إذ تجسّدت في سيرته العطرة أسمى معاني الرحمة والتواضع والعدل والمحبة، وهي القيم التي تمثّل جوهر النزعة الإنسانية ولبّها. فالإنسانية في مفهومها العميق تعني مجمل الصفات النبيلة التي تميّز الإنسان وتُكرم وجوده، ولا يمكن العثور على شخصية جسّدت هذه الصفات بمثل ما جسّدها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام. لقد كان ﷺ مثالاً حيّاً للرأفة بالضعيف، والحلم مع الجاهل، والوفاء بالعهد، والإنصاف حتّى مع المخالف، ممّا جعل منه قدوةً خالدة تتجاوز حدود الزمان والمكان. وبذا فقد أرسى بنفسه معنى الإنسانية في أسمى تجلياتها، حيث جمعت شخصيته بين القوّة والرحمة، والحكمة والتواضع، والزهد والمسؤولية الاجتماعية، فكان كما وصفه ربه: "وإنك لعلى خلق عظيم".

١. الرحمة النبوية شعاراً إنسانياً

تُمثّل الرحمة النبوية الركيزة الأولى في منظومة القيم الإنسانية التي حملها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت رحمته شاملة لا تقتصر على أصحابه أو ذويه، بل امتدت لتطال الأعداء والمخالفين وحتى الحيوان. وقد ضربت السيرة النبوية أروع الأمثلة على ذلك، فكان صلى الله عليه وسلم "كالأب لأصحابه، ففي زيارة دار أحد الأنصار، جاء فلم يصطحب صغيراً معه، فأتى صلى الله عليه وسلم فلاطفه وملاعبه" [٥] (السرجاني، ٢٠١٨، ٨٤). وهذا الموقف النبوي الدال يكشف عن إنسانية عميقة تتجاوز الطقوس والشعائر لتنغرس في تفاصيل الحياة اليومية، فالنبي الكريم لم يكن زعيماً سياسياً أو قائداً عسكرياً فحسب، بل كان إنساناً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يُكرم الطفل ويُلاطفه ويمنحه من حنانه ما يجعل الحياة أجمل وأكثر إشراقاً.وتمتد دوائر الرحمة النبوية لتشمل المرأة والضعيف والمسكين، فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن كل صور الظلم والاضطهاد، وأرسى قواعد إنسانية لم تعرفها الحضارات السابقة بهذا الشمول والعمق. وفي هذا السياق يُشير الباحثون إلى أن النزعة الإنسانية تهدف إلى إقامة علاقات إنسانية قائمة على المحبة والسعادة والإخاء والعمل والكرامة وهي بالضبط القيم التي أرسى دعائمها النبي الكريم في مجتمعه.

٢. الكرامة الإنسانية في النموذج النبوي

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على صون كرامة الإنسان في كل مواقفه وتصرفاته، إذ كان يرفض أي شكل من أشكال الإهانة أو الانتقاص من قدر الإنسان مهما كان جنسه أو لونه أو مكانته الاجتماعية. وقد أرسى الإسلام من خلال سيرته النبوية مبدأً جوهرياً يقوم على أن "الكرامة الإنسانية مبدأ أساسي أخلاقي يقرّر أن الإنسان ينبغي أن يُعامل على أنه غاية في ذاته لا وسيلة، واحترامه من حقه إنسان فقط دون أي اعتبار" [٦] (مختار، ٢٠٠٨، مج٢، ص١٩٢٣)ولعل من أبرز تجليات هذه الكرامة الإنسانية في السيرة النبوية موقفه صلى الله عليه وسلم من العبيد والمستضعفين، إذ سعى جاهداً إلى تحريرهم وإعادة اعتبارهم الإنساني في مجتمع كان يُهدر كرامتهم ويُنكر إنسانيتهم. فضلاً عن ذلك، كان عليه الصلاة والسلام يقف بنفسه في وجه كل من يحاول المساس بكرامة أي إنسان كائناً من كان، مُجسِّداً بذلك المعنى الأعمق للنزعة الإنسانية التي تجعل من الإنسان قيمة عليا لا تُنتهك.

٣. العدل النبوي ركيزةً إنسانية

لا تكتمل صورة النزعة الإنسانية في السيرة النبوية دون الوقوف عند قيمة العدل التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم ثابتاً من ثوابت منهجه في الحياة. فقد كان عدله شاملاً يسري على القريب والبعيد، والصديق والعدو، والشريف والوضيع على حدٍّ سواء، بل إنه صرّح بأنه لو سرقت فاطمة

ابنته لأقام عليها الحد، في تأكيد قاطع على أن العدل لا يقبل المحاباة ولا يعرف الاستثناء. وهذا الفهم العميق للعدل يتّصل اتصالاً وثيقاً بما أشار إليه الباحثون من أن النزعة الإنسانية تتجلى في "السعي إلى تحقيق السعادة والعدالة والأخوة والسلام والحرية" [٧] (العيسى، ٢٠١٠، ٧٩).

ثانياً: النزعة الإنسانية في سيرة أهل البيت عليهم السلام

امتدت النزعة الإنسانية التي أرسى دعائمها النبي صلى الله عليه وسلم لتتجلى بصورة ناصعة في سيرة أهل بيته الكرام، الذين حملوا مشعل القيم الإنسانية وأضاؤا به دروب الحضارة الإسلامية. وقد أثبتت الدراسات التاريخية والأدبية أن "الحضارة العربية الإسلامية شهدت تقدماً إنسانياً وعقلانياً مهماً" [٨] (أركون، ٢٠١٠، ٦٠٨)، وكان لأهل البيت عليهم السلام الدور الأبرز في صياغة هذا التقدم وترسيخه.

١.إنسانية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

يُعدّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أحد أبرز النماذج الإنسانية في تاريخ الإسلام، إذ جمعت شخصيته بين البطولة والزهد والرحمة والعدل في تناسق نادر يندر أن يجتمع في شخصية واحدة. وقد تجلّت إنسانيته في مواقف كثيرة سجّلها التاريخ، أبرزها وصيته لابنه الحسن عليه السلام إذ قال: "يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك" [٩] (الجبوري، ٢٠١٥، ٣٩١)

وهذه الوصية العلوية الخالدة تكشف عن إنسانية متجذّرة تجعل من الإنسان مقياساً لنفسه في تعامله مع الآخرين، إذ تدعو إلى المساواة في الحب والكره والعدل والإحسان دون تفريق بين أحد.وتبقى خطب الإمام علي عليه السلام ووصاياه في نهج البلاغة شاهداً خالداً على عمق نزعته الإنسانية، إذ تفيض بالدعوة إلى الرحمة والعدل ونصرة المستضعفين، وترسم صورة متكاملة للإنسان الكامل الذي يجمع بين علو الروح وصفاء النفس والتزام الحق.٢

٢. الإنسانية في مواقف أهل البيت الاجتماعية

لم تقتصر النزعة الإنسانية عند أهل البيت عليهم السلام على المواقف الكبرى والملاحم التاريخية، بل تجلّت أيضاً في تفاصيل حياتهم اليومية وتعاملاتهم مع الناس من حولهم. فقد عُرفوا بالسخاء المتناهي والإيثار وحسن المعاملة والرفق بالضعفاء، وكانوا يرون في خدمة الإنسان قربةً إلى الله وتجسيداً لأسمى المعاني الإيمانية. وقد أشار المسكويه إلى أن "الإنسانية تتجلى في المحبة والوحدة بين الناس" [١٠] (ابن مسكويه، ١٩٨٥، ٥٥)، وهو ما كان أهل البيت عليهم السلام يُجسّدونه في كل لحظة من لحظات حياتهم.ومن أبرز ما يُؤثر عنهم في هذا الشأن مواقفهم من الفقراء والمحتاجين، إذ كانوا يُؤثرونهم على أنفسهم حتى في أشد ساعات الحاجة، مُجسِّدين بذلك قيمة الإيثار الإنسانية التي تُعدّ من أرقى تجليات النزعة الإنسانية في أي ثقافة وأي حضارة. فضلاً عن ذلك، كانوا يرفضون التمييز بين الناس على أساس العرق أو اللون أو الطبقة الاجتماعية، مؤكدين أن الإنسان تكريم إلهي لا يقبل الانتقاص أو التهوين.

المبحث الثاني: تجليات النزعة الإنسانية في المضامين الشعرية عند الوائلي

تتجاوز النزعة الإنسانية في شعر الشيخ أحمد الوائلي كونها مجرد سمة عارضة لتصبح بنية فكرية عميقة تشكل هوية نصه الأدبي، فهي تنبثق من رؤية فلسفية ترى في الإنسان مدار الوجود ومستودع القيم الإلهية والكونية. إنَّ تجليات هذه النزعة عند الوائلي لا تأتي بمعزل عن مرجعيته الفكرية الرصينة، بل هي إعادة صياغة إبداعية لمفاهيم الرحمة، والعدل، والكرامة، بأسلوب ينسلخ من قوالب التجريد ليلتحم بتفاصيل المعاناة الإنسانية والآمال البشرية.يتمظهر هذا المحور في ديوان الوائلي عبر شبكة معقدة من المضامين القيمية؛ حيث يمتزج فيها الأنا" الوجداني بالآخر الاجتماعي، ليتشكل خطاب إنساني شمولي يرفض الانغلاق الفكري أو العرقي. فالتجليات الإنسانية هنا لا تقتصر على رصد العواطف الفردية، بل تمتد لتشمل الإنسان في كليته؛ سواء في صراعه مع الظلم السياسي، أو في تطلعه للعدالة الاجتماعية، أو في علاقاته الأسرية والإخوانية القائمة على الوفاء والمواساة.

إنَّ دراسة هذا المحور تقتضي سبر أغوار النص الوائلي لاستكشاف الكيفية التي استحال بها الإنسان إلى ثيمة مركزية؛ فنجد النزعة الإنسانية تتجلى تارةً في صورة الأب الحاني، وتارةً في صورة "المثقف" المهموم بآلام أمته، وتارةً أخرى في صورة "المصلح" الذي ينشد الكرامة للجميع دون تمييز. هذا التعدد في التجليات يعكس مرونة الخطاب الشعري عند الوائلي وقدرته على استيعاب المتناقضات الإنسانية وصهرها في بوتقة أخلاقية واحدة، مما يجعل من شعره وثيقة إنسانية تتجاوز حدود المناسبة لتخاطب الجوهر البشري في كل زمان ومكان.

أولا: الحرية والكرامة الإنسانية

تُعد الحرية والكرامة من أبرز القيم الإنسانية التي شغلت فكر الشعراء والمفكرين على مرّ العصور، إذ تمثّل الحرية في جوهرها "تعبيراً عن قدرة ما، أو سلوك معين غير مقيد سواء أكان سلوكاً فكرياً أم سلوكاً بدنياً، وعندما يكون هذا السلوك وهذه القدرة غير محجوز عليهما يكون السلوك حراً والقدرة

حرة" [١١] (وهبي، ٢٠٠٦، ٢٤)، وتقترن بها الكرامة باعتبارها "مبدأً أساسياً أخلاقياً يقرر أن الإنسان ينبغي أن يعامل على أنه غاية في ذاته، وكرامته من حيث هو إنسان فوق كل اعتبار" (مختار، ٢٠٠٨،، ١٩٢٣). [١٢] وقد جسّد الشاعر أحمد الوائلي هاتين القيمتين في شعره تجسيداً عميقاً، فجاءت قصائده صرخةً مدوّية في وجه القيد والاستبداد، ونبضاً صادقاً يُعبّر عن وجدان أمة **تتوق إلى الانعتاق وصون الكرامة الإنسانية.**

يقول الكاتب في قصيدة (من وحي النكسة):

أمتي أرست الخطوب السود * فاقرعيها ولا يلن لك عود

وانتشي باللظى فما برح الكأ * س خلياً من اللظى يستزيد

اججيه كيلا يبوخ فإن النار (م) أن يتبع الوقود الوقود (١٣) (الديوان، ٢٠٠٧، ٣٣٤)

تظهر هذه الأبيات دعوة صريحة للثبات والصمود في وجه الخطوب، مؤكدة على قيمة الكرامة الوطنية التي لا تقبل المساومة. يرفض الشاعر فكرة الاستسلام أو اللين أمام الشدائد، ويستنكر أي تهاون قد يؤدي إلى بيع الوفود أو التخلي عن المبادئ. هذا الخطاب يعلي من شأن العزة والشموخ، ويجعل من الصمود الوطني تجلياً للكرامة الإنسانية الجماعية. يرى الوائلي أن الأمة التي تتمسك بكرامتها لا يمكن أن تنكسر، وأن التضحية من أجل المبادئ هي السبيل الوحيد للحفاظ على الهوية والوجود، مما يعكس بعداً إنسانياً عميقاً في مفهومه للوطن.

يقول الشاعر أحمد الوائلي في قصيدة رسالة الشعر:

يا مهرجان الشعر مر بأفقنا* وهج يفح من السموم ويفزع

بالحقد تسقى ما علمت جذوره * ويثوب إنسانية يتبرقع

يمشي إلى الهدف الخدوع ولو على * برك الدما وغليله لا ينقع (١٤) (الديوان، ٢٠٠٧، ٣٣١)

تتجسد في هذه الأبيات رؤية الوائلي للحرية والكرامة بوصفهما مهددتين بالسموم والحقد الذي يشوه جوهر الإنسانية. يعبر الشاعر عن رفضه العميق للانحراف الفكري والأخلاقي الذي يدفع الإنسان نحو أهداف مضللة، حتى لو تطلب ذلك سفك الدماء. هذا التصوير يعكس إحساساً مرهفاً بخطورة تآكل القيم الإنسانية تحت وطأة الأحقاد، ويؤكد على أن الكرامة الحقيقية تكمن في نقاء الروح وسمو الأهداف، بعيداً عن أي تبرقع زائف يغطي على قبح النوايا. يبرز الوائلي هنا أن النزعة الإنسانية لا تكتمل إلا بالتحرر من قيود الكراهية والضلال.

ثانياً: الدفاع عن المظلوم ومقاومة الجور

يُعدّ الدفاع عن المظلوم ومقاومة الجور من أبرز الأبعاد الإنسانية والأخلاقية في شعر الشيخ أحمد الوائلي، إذ لم يكن شعره مجرد إبداع وجداني منعزل عن الواقع، بل كان صوتاً حاداً يُجاهر بالحق ويُعرّي الظلم في أشكاله المختلفة، سياسيةً كانت أم اجتماعية. وقد نهل الوائلي هذه الروح من موروثه الديني والإنساني العميق، فجعل من قصيدته منبراً للمستضعفين ومرثيةً للكرامة المهدورة، في زمن كان فيه الصمت أيسر والجهر أخطر. ومن هنا تكتسب قصائده في هذا المحور قيمةً مضاعفة؛ فهي في آنٍ واحد شهادةٌ على عصره ووثيقةٌ إنسانية خالدة.

يقول الشاعر في قصيدة (حديث الجراح)

كذبوا ليس يقتل المبدا الحرّ * ولا يخدع النَّهي التَّضليل

كذبوا لن يموت رأي لنور الشمس * من بعض نوره تعليل

وسَجى اللَّيل والرِّجال ضحاياً * والنِّساء المخدِّرات ذهول

واليتامىٰ تشرَّدً وضياع * والثكالى مدامعٌ وعويل

وبقايا مخيَّم من رمادٍ * وقيود يئِنُّ منها عليل

وزنود قست عليها سياطٌ * وجسوم يضرىٰ بها التَّنكيل

ودم شاطىء الفرات سيبقى * الذّهر يرويه والرُّبا والنَّخيل [١٥] (الديوان، ٤٠)

يكشف هذا المقطع عن ثنائية درامية محكمة يبنيها الوائلي بوعي شعري عالٍ؛ إذ يفتتح بصوت التحدي الفكري في البيتين الأولين عبر تكرار "كذبوا" الذي يُشكّل مواجهة صريحة للرواية الرسمية للطغاة، مؤكداً أن المبدأ الحر لا تطاله سيوفهم ولا يخدعه تضليلهم، ومستعيناً بالشمس رمزاً كونياً على أن الحقيقة لا تُطفأ. ثم ينتقل انتقالاً مفاجئاً وموجعاً إلى مشهد المظلومية الجماعية حيث يتراص الضحايا في صورة بانورامية مؤلمة: رجال وضحايا، ونساء ذاهلات، ويتامى تشردوا، وثكالى تنوح، وأسرى يئنون من قيودهم، وأجساد ينهشها التنكيل، وكأن الشاعر يرفض بهذا الحشد الإنساني أن تُطوى

المأساة في صمت. ويختم بصورة خالدة حين يجعل الفرات والربا والنخيل شهوداً على الدم المسفوك، إذ حين يتخلى البشر عن شهادتهم يتكفل التراب بحفظ الحقيقة للتاريخ.ويقول في نص شعري آخر من قصيدة (حديث فلسطين):

فلسطين والفجر دامي الشّروق * وأبعاد سينا لظى يحرق

وفي القدس حيث الصُّمود * العنيد على الموت أَنيابه تطبق

وفي طبريّة منَّا فمُ * بغير القذائِف لا ينطق (١٦) (الديوان، ٦٣)

يرسم الوائلي في هذا المقطع لوحةً جغرافية موجعة تتحول فيها أسماء الأماكن المقدسة من دلالات الفرح والأمل إلى دلالات الجرح والمقاومة؛ فالفجر الذي يُبشّر عادةً بالإشراق والأمل يأتي هنا "دامي الشروق" في صورة مفارقة مأساوية تجمع بين النقيضين، إذ تُجسّد حال فلسطين التي تستيقظ كل يوم على الدم لا على النور. وسينا التي كانت ممراً للأنبياء باتت "لظى يحرق"، والقدس عاصمة الإيمان والسلام صارت ميداناً للصمود العنيد الذي "يطبق أنيابه على الموت" في صورة حيوانية توحي بشراسة التشبث بالحياة والأرض في مواجهة الفناء. أما طبرية فقد صمت فيها كل شيء إلا القذائف، وهو أبلغ تعبير عن المفارقة المأساوية بين المدينة التي كانت تنطق بالجمال والتاريخ وبين حاضرها الذي لا يُسمع فيه إلا صوت الحرب، مما يجعل هذا المقطع وثيقةً شعرية حيّة عن معاناة الإنسان الفلسطيني في مواجهة الاحتلال.

ثالثاً: صلة الرحم والوفاء الأسري

يقول الكاتب في قصيدة (تحية عيد إلى أولادي)

أتىٰ العيد فاحتفل الناس فيه * من الطامحين إلى القُنْعِ

نبرّج في شكله للبسيط * وجلى بمعناه للالمعي

واعطىٰ العيونَ وأعطىٰ القلوب * وقال لانغامه لعلعي

وكنت عن العيد في معزلٍ * فما طعم عيدٍ ولستم معي

ولا تتملاكُمُ مقلتي * ولا يتنغمُكُم مسمعي

ويغفو الخميل إذا ما الهزار * تغيَّب عنه ولم يرجع (١٧) (الديوان، ٢٩٤)

تتجسد النزعة الإنسانية وقيم الوفاء الأسري عند الشيخ الوائلي في هذا النص من خلال ربط "مشروعية الفرح" بحضور الأهل والأحبة، حيث يرفض الشاعر في نزعة وجدانية صادقة أن يكون العيد مجرد طقس شكلي أو بهجة فردية، معتبراً أن غياب الأسرة يحوّل العيد إلى "معزل" واغتراب تفقد فيه الأشياء طعمها والحواس وظيفتها؛ فالعين لا تملأها الزينة والأذن لا يطربها النغم إلا بمرأى وسمع ذوي القربى، مؤكداً عبر استعارة "الخميل والهزار" أن صلة الرحم ليست مجرد واجب أخلاقي، بل هي ضرورة وجودية وعضوية للحياة، فكما لا يزدهر البستان (الخميل) بلا طيور (الأهل)، لا تكتمل إنسانية الإنسان ولا تشرق روحه بالمسرة إلا في ظلال الوفاء لمن يحب، مما يجعل من النص نموذجاً رفيعاً في إعلاء شأن الروابط العائلية كجوهر للسعادة الحقيقية.ويقول في نص آخر من قصيدة (إلى ولدي علي)

طيوفُكَ الحلوةُ الوسنى بُنيَّ علي * في كلِّ درب أراها وهي تضحك لي

ملاتَ كلَّ جهاتي والزَّمان فلا * وجه ولا زمن إلا وفيه علي

أَراك في كلِّ طفل في الطَّريق مشىٰ * يدحو برجليه ما يلقاه من زبل (١٨) (الديوان، ٣٠٧)

يرتقي الشيخ الوائلي في هذا النص بالعاطفة الأبوية من حيزها الذاتي الضيق إلى فضاء "الإنسانية الشمولية"، حيث لم يعد ابنه "علي" مجرد فرد غائب، بل غدا "ماهية وجودية" تهيمن على الزمان والجهات، وتتحول عبرها لوعة الحنين إلى طاقة حب عابرة للأسماء والعناوين؛ فتجلي "علي" في وجوه أطفال الشارع العابرين، وبكل عفوية حركتهم وبساطة بيئتهم "الواقعية"، يعكس نزعة إنسانية ترى في "جوهر الطفولة" قيمة مقدسة بحد ذاتها، لا فرق فيها بين ابنٍ وغريب. إن هذا الحلول الوجداني يجعل من الوفاء الأسري عند الوائلي جسراً نحو "وحدة الشعور البشري"، حيث يمتزج الجمال المطلق بتفاصيل الحياة اليومية، وتصبح صورة الابن الغائب مرآةً يرى من خلالها الشاعر براءة الحياة وحيويتها في كل طفل يمشي على الأرض، محولاً عاطفته الخاصة إلى رسالة احتفاء كوني بالإنسان.وفي قصيدة (إلى ولدي الحسن) يقول:

حَسُّون يا أجملَ ما يُكتَبُ* ويا رؤَى الجنَّة بل أعذبُ

يا قسمات من رفيف السَّنا * أحلىٰ ومن عرف الشَّذا أطيب

يا تمتمات كم علىٰ حلّها *دأبت استظهر أو أعرب (١٩) (الديوان، ٣١٠)

تتجلى في هذه الأبيات أسمى معاني النزعة الإنسانية والوفاء الأسري عند الشيخ الوائلي من خلال "أنسنة الطفولة وتدليلها"، حيث ينظر إلى الطفل بوصفه أجمل قصيدة لم تُكتب وبوابةً لرؤى الجنة على الأرض. فالشاعر، برغم مكانته العلمية واللغوية، يمارس وفاءه العاطفي بالانحناء أمام براءة "تمتمات" الطفل، محاولاً فك رموزها ومناغاتها بجهدٍ يفوق جهده في استظهار النصوص وإعراب القوافي، مما يؤكد أن جوهر الإنسانية عنده يكمن في هذا الارتباط الوجداني العميق بصغار الأسرة، الذين يرى فيهم امتداداً للروح، ومصدراً للنور والأريج الذي يمنح الحياة معناها وجمالها.

النتائج:

تُبرز هذه الدراسة التحليلية، التي تناولت النزعة الإنسانية في شعر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، عدة نتائج رئيسية تؤكد عمق هذه النزعة وتجلياتها المتعددة في أعماله الشعرية. يمكن تلخيص هذه النتائج في النقاط التالية:

١. تأصيل مفهوم النزعة الإنسانية ومرجعياتها: أثبتت الدراسة أن الوائلي استند في نزعته الإنسانية إلى مرجعيات عقدية وسيرية عميقة، مستلهماً السيرة النبوية الشريفة وسير أهل البيت عليهم السلام. وقد تجلت هذه المرجعيات في قيم الرحمة النبوية، وصون الكرامة الإنسانية، وإرساء دعائم العدل، مما يؤكد أن إنسانية الوائلي ليست مجرد سمة عارضة بل بنية فكرية متجذرة.

٢. الحرية والكرامة الإنسانية: كشفت الدراسة عن تجلي واضح للحرية والكرامة الإنسانية في شعر الوائلي، حيث كان شعره منبراً لرفض الاستبداد والقيد. وقد عبر عن ذلك بأسلوب شعري متميز يدعو إلى التحرر من الظلم بكافة أشكاله.

٣. الدفاع عن المظلوم ومقاومة الجور: أظهرت الدراسة أن الوائلي وظف قصائده للدفاع عن المظلومين ومقاومة الجور، جاعلاً من الشعر أداة قوية للتعبير عن قضايا المستضعفين. وقد تجلى ذلك في تصويره لمعاناة الشعوب وقضاياها العادلة، مثل القضية الفلسطينية، ورفضه للظلم الاجتماعي والسياسي.

٤. صلة الرحم والوفاء الأسري: بينت الدراسة أن الوائلي ارتقى بقيم صلة الرحم والوفاء الأسري من المستوى الذاتي إلى الإنساني الشمولي. فقد عكس شعره أهمية الروابط العائلية كجوهر للسعادة الحقيقية، ورأى في الأطفال امتداداً للروح ومصدراً للنور والجمال، محولاً العاطفة الخاصة إلى رسالة احتفاء كوني بالإنسان.

٥. شعر الوائلي وثيقة إنسانية خالدة: خلصت الدراسة إلى أن شعر أحمد الوائلي يمثل وثيقة إنسانية خالدة تتجاوز حدود المناسبة والزمان والمكان، لتخاطب الجوهر البشري في كل زمان ومكان. فهو يعكس قيماً إنسانية عالمية تدعو إلى المحبة، العدل، الكرامة، والتعاطف، مما يجعله مصدراً غنياً للدراسات الإنسانية والأدبية.

الهوامش:

١. ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار التعاضدية العالمية، صفاقس، تونس، ٣٦٩
٢. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ٣٠
٣. بطرس البستاني، محيط المحيط، دار الكتب العلمية، ١٩
٤. فضل سالم العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري، ط١، الاردن، ٧٨
٥. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق امين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ٢٣١
٦. راغب السرجاني، الرحمة في حياة الرسول، دار الأمل، ٨٤.
٧. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، القاهرة، مج٢، ١٩٢٣
٨. فضل سالم العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري، ط١، الاردن، ٧٩
٩. محمد اركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي، دار الساقي، بيروت، ٦٠٨
١٠. عبد الجبار عبد الوهاب سلطان الجبوري، حقوق الإنسان بين النصوص والنسيان، دار المنهل، ٣٩١
١١. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٥٥
١٢. مالك مصطفى وهبي: قضايا فكرية معاصرة، دار الهادي، ط١، بيروت، لبنان، ٢٤
١٣. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٢٣
١٤. الديوان، ٣٣٤
١٥. الديوان، ٣٣١

١٦. الديوان، ٤٠

١٧. الديوان، ٦٣

١٨. الديوان، ٢٩٤

١٩. الديوان، ٣٠٧

٢٠. الديوان، ٣١٠

المصادر:

١. ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار التعاضدية العالمية، صفاقس، تونس،

٢. أحمد الوائلي، ديوان الوائلي، تدقيق: سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ، لبنان، ٢٠٠٧.

٣. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

٤. مالك مصطفى وهبي: قضايا فكرية معاصرة، دار الهادي، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦،

٥. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ١٩٧٢.

٦. بطرس البستاني، محيط المحيط، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩.

٧. فضل سالم العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري، ط١، الاردن، ٢٠١٠.

٨. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق امين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٩٩.

٩. راغب السرجاني، الرحمة في حياة الرسول، دار الأمل، ٢٠١٨

١٠. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨.

١١. محمد اركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠

١٢. عبد الجبار عبد الوهاب سلطان الجبوري، حقوق الإنسان بين النصوص والنسيان، دار المنهل، ٢٠١٥.